الشهيد أمير علي حاجي زاده في مقابلة غير منشورة مع KHAMENEI.IR :

قرارات قائد الثورة الإسلامية غيّرت مسار تاريخنا العسكري

ينشر موقع KHAMENEI.IR الإعلامي النص الكامل للحوار الذي أجراه في العام ٢٠٢١م مع الشهيد اللواء أمير علي حاجي زاده، ويُنشر للمرّة الأولى، وجرى فيه التطرّق إلى الدور المحوري لقائد الثورة الإسلامية الإمام الخامنئي في النهوض بالقدرات الدفاعية والعسكرية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، وجهوده الحاسمة في إدارة الأزمات، وتوجيهاته المصيرية التي أرست أسس الاكتفاء الذاتي في مجال التسليح، لاسيما في تطوير الصواريخ والطائرات المسيّرة، فضلًا عن رؤيته العميقة في بناء الروح العقائدية والمعنوية للقوّات المسلحة.

وجّه قائد الثورة الإسلاميّة، والقائد العام للقوات المسلّحة، الإمام الخامنئي، في كلمته المتلفزة الثالثة عقب العدوان الصهيوني، التهاني إلى الشعب الإيراني العظيم بمناسبة الانتصار في هذه المعركة، وأكّد قائلًا: الكيان الصهيوني وادّعاءاته خارت قواه تقريبًا، وسُحق تحت ضربات الجمهورية الإسلامية. لم يكن يخطر في بالهم، ولا في خيالهم، أن يتلقّوا مثل هذه الضربات من قِبل الجمهورية الإسلامية، لكنّ ذلك ما حصل. نشكر الله الذي أعان قواتنا المسلّحة، فتمكّنت من اختراق دفاعاتهم المتقدّمة والمتعدّدة الطبقات، ووضعت كثيرًا من مدنهم ومناطقهم العسكريّة تحت ضغط صواريخها، وسوّتها بالأرض عبر هجومٍ قويّ باستخدام أسلحتها المتطوّرة؛ وهذه من أعظم النعم الإلهيّة.

وفي هذا السياق، ينشر موقع KHAMENEI.IR، ضمن ملف «رواية الفتح» الذي يتناول تحليلًا شاملًا لانتصار الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانية في الحرب المفروضة الأخيرة التي دامت ١٢ يومًا مع الكيان الصهيوني، حوارًا غير منشور سابقًا مع الشهيد القائد حاجي زاده، القائد الراحل للقوّة الجو-فضائية التابعة لحرس الثورة الإسلاميّة، بشأن دور القيادة العامة للقوات المسلّحة في نموّ وتقدّم القوّة الصاروخية لإيران. وقد جرى هذا الحوار في العام ٢٠٢١، بجهود مكتب حفظ ونشر آثار سماحة آية الله العظمى الإمام الخامنئي في مشهد. وفي ما يلي النصّ الكامل للحوار:

نستهلّ الحوار بهذا السؤال الأوّل: نرجو منكم أن تحدّثونا بشكل تفصيلي عن المكانة التي تتمتّع بها القيادة العامّة للقوّات المسلّحة في جمهوريّة إيران الإسلاميّة.

تنطوي القيادة العامة للقوّات المسلّحة، في المجالين العسكري والدفاعي للجمهوريّة الإسلاميّة، على أبعاد واسعة حقًّا. ربّما أُشير في هذه السنوات بشكل محدود إلى مجال التسليح وصناعة السلاح، لكن من وجهة نظري، فإنّ الأبعاد أوسع من ذلك بكثير، ويمكن إحصاؤها وعدّها. فهي ليست مجرّد أحكام عامّة أو تقييمات إجمالية، بل كلّها موثّقة وتستند إلى شواهد واضحة.

لقد شكّلت مشاركة سماحة الإمام الخامنئي، في سنوات الدفاع المقدّس الثماني، ضمن الحدود التي أذن بها الإمام [الخميني] الراحل، عاملًا مهمًّا وملحوظًا، علمًا بأنّ سماحته لم يُمنح الإذن لفترات طويلة. لكنّ دوره في الشؤون العسكريّة في العقود الثلاثة الأخيرة، بعد رحيل الإمام، كان حاسمًا ومصيريًّا. ولعلّ أحد أسباب هذا الدور يعود إلى معرفة سماحته الدقيقة بالعدو، وحسّه الأمني العالي.

استطعنا، في العقود الثلاثة الماضية، أن ننجو من مؤامرات كبرى، ونجحنا في تجاوز الكمائن التي نصبها العدوّ على طريق نظامنا، بحنكة وسلامة. وفي كلّ واحدة من هذه المحطّات، كان لدور سماحته وتدبيره أثرٌ واضح وجليّ بالكامل.

ما هو الدور الذي أدّاه سماحته في إدارة الأزمات وتجاوز الفخاخ الأمنيّة والعسكريّة التي واجهت البلاد؟ وهل يمكنكم تزويدنا ببعض النماذج والشواهد الملموسة على ذلك؟

أذكر هنا بعض النماذج، على سبيل المثال: في قضية حرب [صدام] على الكويت، جاء كثيرون من داخل البلاد وأعلنوا أنّ «صدّام» بات يجسّد دور «خالد بن الوليد»، وأنّ علينا الوقوف إلى جانبه لمحاربة أمريكا. وقد طرح العديد من المسؤولين في ذلك الوقت هذا الرأي. لكنّ سماحة السيّد القائد وحده من أدرك أنّ هذه خدعة، وأنّ طرفَي هذا النزاع هما من أهل الباطل؛ فكان هناك أمريكا وأوروبا والدول الغربية من جهة، وصدّام من جهة أخرى. لذلك، لم يسمح بأن تنزلق البلاد والقوّات المسلّحة في هذا الفخ.

أو في حرب أفغانستان، وفي السنوات الثلاثين الأخيرة، واجهنا حالات كثيرة كان الدخول فيها فخًّا نُصب للبلاد.

وأيضًا في حرب أفغانستان، ففي الثلاثين سنة الماضية، واجهنا حالات كثيرة كان الدخول فيها فخًّا نُصب للبلاد، ويعود الفضل في تجنّبها إلى الحسّ الأمني والبصيرة والفهم العميق لسماحته بصفته القائد العام للقوات المسلّحة، لأنّ إدارته ليست مجرّد إدارة عامة، بل ينبغي أن تتّسم بالسيطرة والتخصّص، وقد لاحظنا بالفعل أنّه يمتلك ذلك في جميع الأبعاد.

يشارك في النقاشات ضمن مجالس القادة البارزين وذوي المستويات الرفيعة، حاملًا معه مستوىً عاليًا من الإلمام، ويُظهر منطقُه اتقانًا كاملًا. وفي محطات كثيرة، كان لتدبيره الحكيم دورٌ حاسمٌ في إنقاذ البلاد.

أنظروا اليوم إلى ما يجري من حولنا في منطقة غربي آسيا، حيث تنهار الدول فعليًا، وتضعف الحكومات، وتتلاشى الجيوش، وتنتشر الفوضى والانفلات الأمني بشكل واسع. كلّ ذلك يأتي في إطار مخططات أمريكا وبريطانيا والكيان الصهيوني والدول الغربية، التي تهدف إلى غرق هذه المنطقة في الفوضى، وكان الهدف الرئيس منها إيران. راقبوا وضع العراق اليوم، وانظروا إلى حال أفغانستان في هذه الأيام، وما آلت إليه سوريا. ورغم تدخّل إيران وتقديمها الدعم والمساعدة، فقد نجحوا في نهاية المطاف في إضعاف جيوش هذه الدول وتدمير كياناتها.

في بعض المواطن التي كان ينبغي لنا أن نتدخّل فيها، اعترض بعض الأشخاص قائلين: لا، يجب ألّا نتدخّل. مثلًا، عندما اجتاحت الجماعات التكفيرية و«داعش» سوريا والعراق واحتلّتهما، قال كثيرون: ما شأننا بذلك؟ ولماذا نُقحم أنفسنا؟ لكن في تلك اللحظة بالذات، أصدر سماحته قرارًا حاسمًا بأنّه لا، يجب أن نتدخّل ونتوجّه إلى هناك. اليوم، وبعد مرور سنوات على تلك الأحداث، أصبح من السهل إصدار الأحكام. فمن السهل الآن الحديث عن حرب الكويت، أو قضية أفغانستان، أو الفخاخ التي نصبها العدو لنا. لكنّكم يجب أن تلاحظوا أنه في ذلك الوقت، اتّخذ سماحته قرارات حاسمة؛ فقد قرّر أن نتدخّل في ساحة الحرب في سوريا، لأنّ عدم التدخّل هناك كان سيجعل الحرب تصل إلى طهران، وكرمانشاه، وهمدان. كان لا بدّ من التدخّل في مكان ما، وفي الوقت نفسه كان لا بدّ من الامتناع عن التدخّل في مواضع أخرى. كلّ ذلك تمّ بفضل قيادة وإدارة سماحته.

وبرأيي، يُعدّ هذا الأمر من القضايا البالغة الأهمية، ويستحق أن يُبحث ويناقش بنحو مستقل.

أما في المجال الثاني، فتتمتّع قوّاتنا المسلّحة اليوم - سواء كانت الجيش أو الحرس أو التعبئة - بروح قتالية عالية، وشجاعة، وروح مقاومة للظلم. هم لا يشعرون أبدًا بإمكانية الهزيمة أمام أيّ جيش كان، بل يملؤهم الإيمان بالقوّة، ويعلمون تمامًا أنهم أقوياء. هذه الروح القتالية تنبع من التربية والقيم التي تلقّوها بعد انتصار الثورة الإسلاميّة، وخاصة في العقود الثلاثة الأخيرة.

ما هي العلاقة بين التربية الروحية والعقائدية للقوّات المسلّحة في هذه السنوات وبين قائد الثورة الإسلاميّة؟ وكيف تمّت عملية هذه التربية؟

في مرحلة الحرب المفروضة التي استمرّت ثماني سنوات، كان «صدّام» هو العدوّ المباشر أمامنا. لكن بعد ذلك، طُرحت مسألة أمريكا وبرزت تهديدات الغربيين، ما أثار بعض المخاوف، خاصةً أن قوّتنا لم تكن تضاهي قوّتهم.

أما اليوم، فلا يشعر مجاهدونا وقواتنا في أيّ مستوى من المستويات بأيّ نقص أو ضعف أمام أحد. بل يعترف الجميع بأنّ القوات المسلّحة في إيران، سواء كانت حرس الثورة الإسلاميّة أو الجيش، تُعدّ مجتمعة قوّة مقتدرة وحاسمة.

ولكن كيف تحقّقت هذه التربية؟ في العقود الثلاثة الأخيرة، شملت جميع البرامج المرتبطة بالقوّات المسلّحة - من برامج تدريبية وتعليمية وتربوية، والمراسم التي نقيمها، واللقاءات الأسبوعية المستمرة التي يعقدها سماحته مع القادة العسكريين - نهجًا ثابتًا.

تُعقد هذه اللقاءات بانتظام، حيث حدّد سماحته موعدًا لا يقل عن لقاء واحد في الأسبوع، وخصّص يومًا كاملًا للقاءات مع العسكريين. عبر هذه الجهود الدائمة التي يبذلها سماحته، نشأت هذه التربية في صفوف القوّات، ومنحتهم الجاهزية المطلوبة.

القضية ليست مسألة سلاح أو أدوات فقط، بل تتعلق بالجانب الروحي، والبعد العقائدي، والركيزة التربوية الراسخة. ويُعدّ هذا أحد الجوانب الأساسية من أعمال سماحته، الذي يمكن اليوم تأليف كتب عدة من أقواله ورؤاه العميقة في هذا المجال، لما تحمله من مضمون ثري وعميق.

ما هو دور قائد الثورة الإسلامية في مسار تحقيق الاكتفاء الذاتي في مجال التسليح وجعله محليّ الصنع، وما هي القرارات المصيرية التي اتّخذت في هذا الصدد؟

دفع سماحة الإمام الخامنئي في السنوات التي أعقبت الحرب نحو الاكتفاء الذاتي، وتوطين الصناعات، والاعتماد على القدرات الوطنية في مجال التسليح. لكنّ النقطة الجوهرية تمثّلت في تحديد الطريق الواجب سلوكه، ونوع السلاح الذي ينبغي توطينه، وكيفية إنجاز هذه المهمة؛ وقد تحقّق أمران: أوّلًا، ترسيخ القناعة بأننا «قادرون»، والانطلاق نحو بناء قدرات تسليحية وطنية؛ وثانيًا، أن نُحسن اختيار التوجه الصحيح.

في السنوات الثلاثين الأخيرة، ولعلها بدأت من عام ١٩٨٤، تجلّت هذه التوجيهات بنحو خاص في مجال الصواريخ. لو كنّا قد سلكنا الطريق الذي سلكته دول العالم - غالبًا الشرقية والغربية - نحو تطوير الطائرات الهجومية، وبلغت اليوم الجيل الخامس من المقاتلات، بينما كنّا على الأرجح سنظل نحاول ونكافح عند الجيل الثالث. ماذا يعني ذلك؟ يعني أنّنا مهما فعلنا، كنا سنبقى متأخرين عنهم بخمسين عامًا. لكنّنا، بدلًا من أن نسير خلف العدو ولا نلحق به أبدًا، اخترنا مسارًا أصبحنا فيه الآن في مواجهتهم. وصحيح أننا واجهنا تهديدات طوال هذه السنوات، لكننا اتبعنا طريقًا يُمكّننا من الرد على هذه التهديدات.

في العقد الأخير على الأقل، سرنا بأسلوب «محورية الهدف»، أي أننا سعينا إلى امتلاك معدّات وأسلحة وقدرات معيّنة تُمكّننا من إحراز إنجازات في نقطة محدّدة تُفقد العدو فعّالية قدراته تمامًا. كان دور قائد الثورة الإسلامية في هذا المجال دقيقًا للغاية، وتأثيره تأثيرٌ منقطع النظير. في بعض الأحيان، نرى أن القرارات التي يتّخذها قائد الثورة الإسلامية، والمساهمة التي يقدّمها سماحته، قد تُغيّر مسار تاريخنا العسكري. إن التوجيه الذي يقدّمه سماحته له تأثير بالغ. سأشير إلى بعض الأمثلة: في سنة ١٩٨٤، تمّ تزويدنا بعدد محدود من الصواريخ. وقد قرّر النظام حينها تخصيص صاروخين من هذا العدد المحدود للهندسة العكسية. على سبيل المثال، حصلنا على ٣٠ صاروخًا من ليبيا، فخُصّص اثنان منها من أجل التصنيع والإنتاج، وقد تمّ ذلك في غضون عامين، أي إنّ مخزوننا لم يتجاوز أبدًا سبعة أو ثمانية صواريخ. بمعنى أنه إذا وصلتنا صواريخ، كنا نستخدمها مباشرة لأننا كنّا في حالة حرب. تخيّلوا أن يتمّ فصل اثنين من أصل سبعة أو ثمانية صواريخ وتخصيصهما للهندسة العكسية! لقد كان ذلك قرارًا بالغ الصعوبة. أتذكّر جلسةً حضرها سماحته – حين كان رئيسًا للجمهورية – زار خلالها مركزًا كانت تُجرى فيه أبحاث من قِبل الإخوة في وزارة الحرس في ذلك الوقت. أثناء الجلسة، عبّر سماحته عن قلقه قائلًا: لماذا تُبدون كل هذا الحذر؟ لماذا لا تفكّكون الصواريخ بسرعة؟ لماذا لا تبدأون العمل؟ ثم قال مازحًا: إذا لم تعملوا عليها بسرعة، فقد يأتون ويأخذونها، وربما يطلقونها فتخسرونها!

كان سماحته يُولي أهمية كبيرة للبحث العلمي، والتوطين، والإنتاج المحلي. في تلك السنوات، وضع سماحته حجر الأساس لبناء مصنع للصواريخ، وهناك تسجيلات فيديو توثّق ذلك، ما يدلّ على أن اهتمامه بهذا الموضوع كان حاضرًا منذ ذلك الوقت. لقد بدأ هذا العمل في زمن الحرب، وكان طويلًا، صعبًا ومعقّدًا، سواء في مجال الصواريخ أو في مجالات أخرى كثيرة، لأننا لم نكن نمتلك البنية التحتية الأساسية. أما اليوم، فقد نقرّر تصنيع شيء ما، فتكون أجزاؤه مُنتَجة بالفعل، فنوفّرها ونُصمّم نظامًا لها. أما في ذلك الوقت، فلم تكن المكوّنات الفرعية تُنتَج أصلًا، ولم تكن التكنولوجيا متوفّرة في البلاد. ولكي نصل إلى تكنولوجيا الصواريخ، كان علينا أن نمرّ بعدد من التقنيات التمهيدية التي تُمكّننا من الوصول إليها. في أوائل تسعينيات القرن الماضي، وتحديدًا عام ١٩٩١، وأثناء انهيار الاتحاد السوفييتي، ظهر وضع جديد فجأة؛ إذ قُدّمت عروض جيدة جدًا لإيران. كانت الأوضاع الاقتصادية في الاتحاد السوفييتي متدهورة، وقد انهار، والدول التي نشأت بعد الانهيار كانت تعاني من مشكلات مالية. فجاؤوا وقالوا: نحن نبيع لكم صواريخ ومنصّات إطلاق. الصواريخ التي كنّا نشتريها من كوريا الشمالية بمبلغ يُقارب مليونين ونصف المليون دولار لكل صاروخ آنذاك، عرضوها علينا بعشرة آلاف دولار فقط! ومنصة الإطلاق التي كنّا نشتريها بما يتراوح بين مليونين ونصف إلى ثلاثة ملايين دولار – والتي لم تكن ذات جودة عالية مقارنة بالروسية – عرضوها علينا بسعر مئة ألف دولار فقط.

دفع سماحة الإمام الخامنئي نحو الإكتفاء الذاتي، وتوطين الصناعات، والاعتماد على القدرات الوطنية في مجال التسليح

تتمة المنشور في الصفحة ٧